

يهود أصيهاين

قراءة في الدلالات النبوية
والتاريخية والجغرافية
لفتنة آخر الزمان



حسام كمال النجار

يهود أصبهان

قراءة في الدلالات النبوية والتاريخية والجغرافية

لفتنة آخر الزمان

حسام كمال النجار



"يهود أصبهان"

قراءة في الدلالات النبوية والتاريخية والجغرافية لفتنة آخر الزمان

في رحاب النص النبوي والتاريخ الأصفهاني القديم

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الدنيا دار ابتلاء واختبار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فبين للأمة فتن الزمان وأشراط الساعة ليحذروا ويستعدوا، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن التأمل في نصوص الوحيين، الكتاب والسنة، يفتح للباحث آفاقاً واسعة من الفهم الذي يجمع بين الإيمان بالغيب والوعي بالواقع التاريخي والاجتماعي. ومن المسائل التي استوقفت العلماء والباحثين طويلاً ما ورد في السنة النبوية المطهرة حول الفتن الكبرى التي تسبق قيام الساعة، وتحديدًا ما يتعلق بخروج المسيح الدجال وطبيعة أتباعه. ومن أصح ما ورد في هذا الباب وأصرحه ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2944، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال). هذا النص النبوي الشريف ليس مجرد إخبار عن عدد أو مكان، بل هو إشارة عميقة تتطلب دراسة متأنية تجمع بين علم الحديث وعلم التاريخ والجغرافيا البشرية، وذلك لفهم المقاصد الشرعية



السامية بعيداً عن التأويلات العاطفية المندفعة أو التوظيفات السياسية المعاصرة التي قد تحيد باللفظ عن معناه الذي أراده الشارع الحكيم.

لقد فسر العلماء والفقهاء عبر العصور هذا الحديث من زوايا متعددة؛ فمنهم من وقف عند ظاهر العدد "سبعون ألفاً"، ومنهم من ذهب إلى أن العرب كانت تطلق هذا الرقم للدلالة على الكثرة الفائقة والمجموعات الغفيرة التي يصعب حصرها، كما هو شائع في أساليب البيان النبوي عند وصف أهوال يوم القيامة أو جموع الفتن. وقد أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إلى أن التعبير بالسبعين ونحوها قد يراد به المبالغة في الكثرة لا التحديد، وهو أسلوب عربي معروف (فتح الباري، شرح حديث 7128).

أما ذكر "الطيالسة"، وهو جمع طيلسان، فيحمل دلالة بصرية وتنظيمية مهمة؛ فالطيلسان هو رداء أخضر أو وشاح واسع كان يلبس قديماً فوق الثياب، وقد ذكره علماء اللغة كابن منظور في لسان العرب (مادة طلس) بأنه من لباس الأعيان والعلماء. هذا الوصف يوحي بأن هؤلاء الأتباع سيكون لهم زي موحد أو هيئة تميزهم، وهو ما يفسره البعض في سياق التنظيم العسكري أو الجماعي الذي يسير خلف راية الضلال. وقد أرشدنا المولى عز وجل إلى ضرورة الرجوع إلى الراسخين في العلم عند تشابه الأمور أو غموض الفهم، فقال تعالى في سياق التحذير من اتباع الهوى والظن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وهذا يؤكد أن الفهم الصحيح للنبوءات لا يتأتى إلا بالجمع بين الأدلة النقلية والقرائن التاريخية الموثوقة.

إن الحديث عن "يهود أصبهان" يفتح باباً واسعاً لدراسة تاريخ هذه المدينة العريقة، التي كانت عبر العصور ملتقى للحضارات ومركزاً تجارياً وعلمياً مرموقاً. فمدينة أصفهان، أو أصبهان بلسان العرب، تعد واحدة من أقدم المدن الإيرانية التي شهدت وجوداً يهودياً مستمراً منذ فجر التاريخ.



وتروي المصادر التاريخية، مثل كتاب "الأخبار الطوال" للدينوري، والآثار الباقية أن الوجود اليهودي في هذه المدينة يعود إلى العهد الفارسي القديم، وتحديدًا إلى فترة السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. حين سمح الملك كورش الكبير لليهود بالعودة إلى القدس، فضل بعضهم البقاء والاستيطان في هضاب إيران الخصبة، واختاروا أصفهان لموقعها الاستراتيجي ووفرة مياهها. ومن هنا نشأ حي "جوباره (Jouybareh)" التاريخي، الذي عُرف في الأدبيات القديمة باسم "دار اليهود" أو "اليهودية"، وكان هذا الحي بمثابة النواة الأولى لمدينة أصفهان قبل أن تندمج مع أحياء أخرى مثل "شي" (أو جي) لتشكل المدينة العظيمة التي نعرفها اليوم. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ أبو علي مسكويه في كتابه "تجارب الأمم" عند حديثه عن فتح أصفهان.

لقد كان حي جوباره لقرون طويلة مركزًا نابضًا بالحياة، حيث شيد اليهود كنسهم ومدارسهم التي حافظت على لغتهم العبرية وطقوسهم الدينية. ومن الملاحظات التاريخية المهمة أن هذا المجتمع اليهودي لم يكن منعزلًا، بل كان جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاقتصادي للمدينة، حيث برعوا في التجارة وصناعة المنسوجات والذهب، وساهموا في بناء النهضة الحضارية التي شهدتها أصفهان في عصورها الذهبية، ولا سيما في العصر السلجوقي حيث أصبحت عاصمة لهم، فازدهرت العمارة والفنون. وقد توزعوا تاريخيًا في أحياء عدة كحي "دردشت" وحي "جولبهار"، حيث كانت هذه المناطق تعج بالنشاط والحركة. والله سبحانه وتعالى قد جعل العدل ميزانًا للتعامل مع الخلق جميعًا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135]. وهذا المبدأ القرآني هو الذي ضبط علاقة المسلمين بالأقليات الدينية في أصفهان وغيرها عبر العصور، حيث تمتعوا بحقوق المواطنة والذمة، وحافظ على كنائسهم وبيعهم بموجب العهود الشرعية، كما هو مفصل في كتب الأحكام السلطانية للماوردي وأبي يعلى.



بالانتقال إلى العصور الوسطى والإسلامية، نجد أن مدينة أصفهان حافظت على مكانتها كمركز رئيسي لليهود. وفي العهد الصفوي، حين أصبحت أصفهان عاصمة للدولة واتخذت المذهب الشيعي مذهباً رسمياً، حدثت بعض التحولات في وضع الأقليات، إلا أن الوجود اليهودي بقي صامداً وفاعلاً. وتذكر الرحلات والكتب الجغرافية القديمة، مثل كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي، أن "اليهودية" كانت في كثير من الأحيان أكبر من مدينة أصفهان الأصلية نفسها من حيث المساحة والنشاط التجاري. وهذا الوجود التاريخي الكثيف والمستمر هو الذي جعل المدينة تبرز في الحديث النبوي الشريف كمنطلق لفتنة الدجال في آخر الزمان، مما يشير إلى أن المكان له رمزية جغرافية وتاريخية قديمة تتجاوز الحدود السياسية المعاصرة.

إن النبي ﷺ حين أخبر عن هذه الفتن، لم يكن يهدف إلى زرع الخوف أو التهم الجرافية، بل كان يهدف إلى التحذير من الانجراف وراء القوى الضالة التي قد تتخذ من مراكز التجمعات التاريخية منطلقاً لها. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2923، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الأمر باتباع الجنائز).

وهذا التعدد في الدجالين يسبق الدجال الأكبر، والتحذير منهم جميعاً يقوم على قاعدة اليقظة والاعتصام بالكتاب والسنة. وقد شدد النبي ﷺ على خطورة الكذب في هذه الأمور فقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 110، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 3، مقدمة الكتاب، باب تغليظ الكذب على النبي ﷺ).



في العصر الحديث، طرأت تغيرات جذرية على الخارطة السكانية والديموغرافية لليهود في أصفهان. فبعد أحداث القرن العشرين، ولاسيما احتلال فلسطين عام 1948 ثم ثورة 1979 في إيران، شهدت الجالية اليهودية موجات هجرة واسعة النطاق نحو الولايات المتحدة وأوروبا وفلسطين. هذا التحول السكاني أدى إلى تناقص أعدادهم بشكل كبير، حيث تشير التقديرات الموثقة في دراسات الأكاديميين المختصين بشؤون الأقليات في إيران، مثل الباحث "حبيب ليفي" في كتابه "تاريخ يهود إيران"، إلى أن عددهم في أصفهان اليوم يتراوح ما بين 1,200 و 1,500 شخص فقط. هؤلاء الباقون يعيشون كمواطنين إيرانيين، يمارسون شعائهم في كنسهم التاريخية التي لا تزال قائمة في حي جوباره، مثل كنيس "آمو شعيا" وكنيس "ملا يعقوب" وكنيس "ملا نيسان"، وهي معالم مسجلة ضمن الآثار الوطنية. هذا الواقع المعاصر يوضح فجوة عديدة كبيرة بين ما ذكره الحديث عن "سبعين ألفاً" وبين الواقع الحالي، مما يعزز فهم العلماء بأن النبوءة تتعلق بحدث مستقبلي غيبي يقع عند ظهور الدجال.



المعالم الدينية والتحول الاجتماعي في أصفهان الحديثة

لم تكن "أصفهان" مجرد بقعة جغرافية عابرة في التراث الإسلامي، بل كانت حاضرة يشار إليها بالبنان في كتب الجغرافيا والبلدان. فالمؤرخون المسلمون، كابن رسته في كتابه "الأعلاق النفيسة"، وصفوا بناء المدينة وتقسيماتها بدقة، مشيرين إلى أن "اليهودية" كانت إحدى المدينتين اللتين شكلتا أصفهان الكبرى، وكانت تتميز بأسوارها وحصانيتها ونشاطها التجاري المنقطع النظير. كما أفاض ياقوت الحموي في "معجم البلدان" في ذكر أصفهان وأحيائها، وربط تسمية "اليهودية" باستيطان بني إسرائيل القدماء فيها. هذا العمق التاريخي هو الذي يجعلنا نفهم لماذا خصها النبي ﷺ بالذكر في حديث الدجال؛ فالأمر مرتبط بمركزية تاريخية وتجمع بشري ضارب في القدم. ومن هنا، فإن الحفاظ على هذا الإرث وتوثيقه يعد ضرورة لفهم السياق الذي وردت فيه النصوص النبوية، بعيداً عن الاجتزاء الذي يمارسه البعض في العصر الحديث.

إن حي "جوباره" (Jouybareh) في أصفهان يمثل اليوم متحفاً حياً لهذا التاريخ؛ فهو لا يزال يضم أكثر من عشرة كُتُس تاريخية، تُعد من أقدم المعالم الدينية في إيران. ومن أبرز هذه الكُتُس كنيس "آمو شعيا" الذي يُعتقد أن تاريخ بنائه يعود إلى قرون مديدة، ويتميز بعماراته التي تدمج بين الفن الفارسي والرموز الدينية اليهودية. وهناك أيضاً كنيس "ملا يعقوب" الذي يضم مقبرة لشخصيات تاريخية كانت محل احترام الجالية، وكنيس "ملا نيسان" بزخارفه الجصية الرائعة. هذه الأماكن ليست مجرد دور عبادة، بل هي شواهد على هذه الحقبة. والقرآن الكريم يحثنا على النظر في عواقب الأمور والاعتبار بمن مضى، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20].

بالنظر إلى الحالة الراهنة للجالية اليهودية في أصفهان، نلاحظ أن التحولات السياسية والاجتماعية في القرن العشرين قد غيرت ملامح هذه الجالية بشكل جذري. فبعد عام 1979،



هاجر السواد الأعظم من يهود إيران، ولم يبقَ في أصفهان سوى بضع مئات من العائلات، يقدر عددهم حاليًا بحوالي 1,500 شخص. هؤلاء يعيشون حياة هادئة، يمارسون أعمالهم التجارية في "البازار" الكبير، ويقىمون صلواتهم بانتظام، ولهم ممثل في البرلمان الإيراني (مجلس الشورى الإسلامي) بموجب الدستور الإيراني الذي خصص مقعدًا لليهود. هذا الواقع يطرح تساؤلاً جوهرياً حول كيفية التوفيق بين هذا العدد القليل وبين السبعين ألفاً المذكورين في الحديث. والجواب يكمن في فقه "أشراط الساعة"، حيث يرى المحققون من العلماء أن وقوع النبوة مرتبط بزمان يسبق خروج الدجال مباشرة، حيث قد تحدث هجرات عكسية أو تجمعات كبرى في تلك المنطقة لم تتشكل ملاحظتها بعد. وقد أشار الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم إلى أن هذه علامة من علامات نبوته ﷺ، حيث أخبر عن أمر غيبي سيقع، والإيمان به واجب وإن لم يتحقق بعد.

إن المنهج الإسلامي في التعامل مع هذه النصوص يقوم على قاعدة "التوقف عند النص دون تكلف الإسقاط". فالدجال فتنة غيبية، والتحذير من أتباعه يهدف إلى تحصين المؤمن بالتوحيد والعلم. روى النواس بن سمعان رضي الله عنه حديثاً طويلاً في وصف الدجال، جاء فيه قوله ﷺ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2937، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه). وهذا الثبات لا يكون إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.

علاوة على ذلك، فإن وصف أتباع الدجال بأن عليهم "الطيالسة" يفتح باباً للبحث في الرموز السيمائية للثياب في التراث. فالطيالسان كان زي العلماء والفقهاء في عصور مضت، كما كان زي الأعيان والتجار الأثرياء، وذكره في الحديث قد يشير إلى أن أتباع الدجال سيكونون من أهل الهيئة والمكانة، أو أنهم يتزيون بزي يوحى بالوقار والخداع. وهذا يتفق مع طبيعة الدجال



الذي يأتي بالخوارق ويخدع الناس بمظاهره. وقد حذر النبي ﷺ من المظاهر الخداعة في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2564، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم). فالمعيار في الإسلام هو التقوى والعمل، لا الزي والانتماء الجغرافي.

تاريخيًا، ارتبطت أصفهان بلقب "نصف جهان" أي نصف العالم، لعظمة بنائها وتنوع سكانها. وكان اليهود فيها يقطنون أحياء "دردشت" و"جولبهار" بالإضافة إلى "جوباره" وفي القرون الوسطى، كان لليهود في أصفهان مدارس لاهوتية مشهورة، وكانوا يساهمون في ترجمة العلوم الفارسية إلى العربية والعبرية.

إن أصفهان، بجمال معمارها وعمق تاريخها، تظل لغزًا تاريخيًا ونبويًا في آن واحد. فهي المدينة التي احتضنت اليهود منذ السبي البابلي، وهي المدينة التي أشار إليها الوحي كمركز لفتنة آخر الزمان. هذا الربط يحتم على المسلم أن يقرأ التاريخ بعين البصيرة، ويقرأ الوحي بعين الإيمان، دون أن يطغى أحدهما على الآخر. فالتاريخ يفسر لنا سياق المكان، والوحي يندرننا بمآلات الزمان. وقد كان من دعاء النبي ﷺ الاستعاذة من فتنة الدجال في كل صلاة، حيث قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 1377، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 588، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة).



دلائل المشرق وخروج الفتن من قبله

إن المتأمل في جغرافية النبوءات النبوية يلحظ تركيزًا لافتًا على جهة المشرق كمطلق لكثير من الأحداث العظام والفتن الجسام، وأصبهان بجوهرها الجغرافي تمثل قلبًا نابضًا في هذا المشرق الإسلامي. لقد قرر علماء الشريعة أن ظهور الدجال من جهة المشرق، وتحديدًا من "خراسان" أو "أصبهان"، يحمل دلالات عقدية ترتبط بمبدأ الاختبار الإلهي؛ فالمشرق تاريخيًا كان مهدًا للحضارات القديمة والديانات المتعددة، مما يجعله مسرحًا تتمايز فيه الصفوف بين الحق المحض والباطل المزخرف. وقد أشار الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات المتعلقة بياجوج ومأجوج إلى أن الفتن العظام تأتي من هذا الاتجاه. والقرآن الكريم يوجهنا دومًا إلى إدراك أن الفتن لا تأتي إلا لتمحيص القلوب، قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 2-3]

وفي هذا السياق، يبرز التساؤل عن الحكمة من تحديد "أصبهان" بالذات كمركز يتبعه فيه هذا العدد الضخم من اليهود. يذهب بعض المحققين من أهل العلم، كالحافظ ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" (في أحداث آخر الزمان)، إلى أن هذا المكان سيكون مجمعًا لقوى الضلال في آخر الزمان، نظرًا لما تتمتع به المدينة من رمزية تاريخية قديمة عند بني إسرائيل. ومن المعلوم تاريخيًا أن أصبهان كانت تضم حيًا كبيرًا يُسمى "اليهودية" كما ذكرنا، وهو ما يفسر استمرارية الوجود البشري الذي قد يتضخم في ظروف مستقبلية لا نعلم كنهها الآن. والنبي ﷺ في تحذيره من الدجال لم يترك شاردة ولا واردة إلا بينها، فقد روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنَ الدَّجَالِ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجِجُ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2934، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه). هذا الوصف النبوي للخداع البصري



يتسق مع طبيعة الفتنة التي تنطلق من مراكز حضارية قديمة كأصبهان، حيث يمتزج العلم بالسحر، والحقيقة بالخيال.

وعندما نتحدث عن "الطيالسة" الذين يرتديهم أتباع الدجال من يهود أصبهان، فإننا بصدد إشارة إلى نوع من الاستعلاء الثقافي أو التميز المظهري. فالطيلسان في لغة العرب كان يُعد لباساً لأهل الرفعة والعلم، وفي بعض الأحيان كان يُستخدم كرمز للكهنة الديني. وهذا يوحي بأن الفتنة التي تنطلق من أصبهان لن تكون فتنة عشوائية أو غوغائية، بل ستكون فتنة منظمة يقودها "أهل هيئة" و"أصحاب رداء"، مما يضاعف من خطرهما على العامة. ومن هنا، كان التحذير القرآني من اغترار الناس بالمظاهر على حساب الجوهر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: 4]. فالتحصين الحقيقي ليس بمعرفة الزي، بل بتمحيص القول والفعل بميزان الوعي.

تاريخياً، شهدت أصبهان تقلبات كبرى في عدد سكانها اليهود؛ ففي العصور التي أعقبت الفتح الإسلامي، كانت "اليهودية" (الحي اليهودي) مأهولة بالآلاف، وذكر الرحالة اليهودي الشهير "بنيامين التطيلي" في رحلته (القرن الثاني عشر الميلادي) أن عدد اليهود في أصبهان كان يبلغ نحو خمسة عشر ألفاً، وهم أصحاب نفوذ وثراء. هذا التذبذب العددي عبر التاريخ يثبت أن رقم "سبعين ألفاً" الوارد في الحديث ليس مستحيلاً من الناحية الديموغرافية إذا ما توفرت الظروف السياسية والاجتماعية الملائمة في المستقبل. وبهذا نستشعر عظمة النبوة التي تخبر بأمور غيبية ستقع لا محالة. وقد أكد النبي ﷺ على ضرورة الاعتصام بالجماعة والعلم عند وقوع هذه الفتن، فقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ» (رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث 2165، كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي).



إن الفهم العميق لحديث يهود أصبهان يتطلب أيضاً استحضار الصراع الدائم بين الحق والباطل الذي تصوره الآيات القرآنية. فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وفي كل مرة يقيض الله لهم من يسومهم سوء العذاب أو يردهم إلى الحق، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]. وربط بعض المفسرين المعاصرين، كالشيخ محمد متولي الشعراوي في بعض خواطره، بين هذا العلو وبين اتباع الدجال في آخر الزمان، حيث يجد هؤلاء في الدجال "المخلص" المزعوم الذي ينتظرونه، بينما هو في حقيقته فتنة كبرى تمحق ما يتبعها.

وبالعودة إلى الواقع الجغرافي لمدينة أصفهان، نجد أن حي "جوباره" العتيق، ببيوته الطينية المتلاصقة وأزقته الضيقة، يحتزن ذاكرة أجيال تعايشت مع المسلمين لقرون. هذا التعايش لم يمنع النبي ﷺ من الإخبار عما سيكون من بعضهم في المستقبل، مما يدل على أن الوحي ينظر إلى مآلات الأمور لا إلى ظواهرها المؤقتة. والمسلم الحق هو من يفرق بين "اليهودي المعاهد" الذي له حق البر والقسط في زماننا، وبين "أتباع الدجال" الذين أخبر النص بضلالهم في آخر الزمان. فاخلط بين المفهومين يؤدي إلى فساد في التصور وسوء في المعاملة، وهو ما نهي عنه النبي ﷺ بقوله: «مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَقَدْ آذَانِي» (رواه الطبراني في المعجم الأوسط بسند حسن، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد).

علاوة على ذلك، فإن خروج الدجال من أصبهان يضع المدينة في مركز الاهتمام العالمي عند اقتراب الساعة. ويرى بعض المفكرين الإسلاميين أن "أصفهان" قد ترمز في الحديث إلى منطقة حضارية أوسع تشمل ما حولها من القرى والمدن التي كانت تابعة لها إدارياً في القديم. وهذا التوسع في الفهم يجعلنا ندرك أن الفتنة ستكون عارمة، ولن تقتصر على حي أو زقاق، بل ستكون زلزلاً يصيب القلوب والأبدان. ولذلك كان من رحمة الله بعباده أن جعل "مكة والمدينة" محرمتين



على الدجال، كما ورد في الحديث: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 1881، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2943، كتاب الفتن، باب ما يحرم من الدجال على المدينة).

إن الربط بين حديث أصبهان وبين الآيات التي تتحدث عن الثبات واليقين يعزز من قيمة "العلم" كدرع واقٍ. فالأتباع الذين سيسرون خلف الدجال، والذين وصفهم الحديث بأنهم "سبعون ألفاً"، هم قوم استخفهم الضلال فاتبعوه، كما فعل قوم فرعون من قبل، قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: 54]. والفتنة اليوم، وإن لم تكن فتنة الدجال الأكبر، إلا أن لها مقدمات في صورة "دجاجلة" صغار يزيفون الحقائق، مما يستوجب الحذر التام والتمسك بما جاء في صحيح الأثر. وقد حثنا النبي ﷺ على قراءة فواتح سورة الكهف للنجاة من الدجال، فقال ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 809، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي).

إن أصبهان هي حلقة وصل بين الماضي التاريخي السحيق وبين المستقبل الغيبي المحتوم. ففي ماضيها تعايش وقبائل، وفي حاضرها جالية يهودية، وفي مستقبلها فتنة كبرى أخبر بها الوحي. والمسلم الحكيم هو من يستلهم من هذه النصوص قيم اليقظة والعدل، فلا يفرط في إيمانه بالغيب، ولا يظلم أحداً في شهادته على الواقع.

ومن التأمل العميق في طبيعة هذه الفتنة العظمى، يتبين للمؤمن البصير أن "المكر" والخديعة هما جوهر عمل الدجال وأتباعه من يهود أصبهان. فالقرآن الكريم قد كشف لنا جانباً من هذه الصفة الملازمة لطائفة من بني إسرائيل عبر التاريخ، قال تعالى: ﴿وَمَكُرُوا وَكَرَّ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 82].



[54]، وقال سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: 96]. هذه الآيات وغيرها تضع أيدينا على حقيقة أن الفتنة التي ستنتقل من أصبهان ليست فتنة قوة غاشمة فقط، بل هي فتنة "مكر" منظم، وخداع مركب، يستخدم أدوات التمويه كالطيالسة، وأدوات الإغراء كالكنوز التي تتبع الدجال كيغاسيب النحل، وأدوات التضليل كالشبهات التي تلبس الحق بالباطل.

وهذا المكر يتجلى في قدرتهم على استثمار "الانتظار" المزعوم لدى طائفة منهم، فيظهرون الدجال على أنه "المخلص" المنتظر، ليجمعوا حوله السبعين ألفاً تحت راية الضلال. إنها نفس الآلية التي حذر منها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 64]، فتحريف العقائد واستغلالها لتحقيق أهداف دنيوية هو سمة بارزة في مسيرة هؤلاء الأتباع من اليهود عبر التاريخ، وستبلغ ذروتها في آخر الزمان حين يلتفون حول أعور الدجال. لذلك، فإن "مكر" يهود أصبهان ليس مجرد صفة عابرة، بل هو برنامج عمل متكامل سيتجلى في فتنة الدجال، حيث يُظهرون الزور في صورة حق، ويقدمون النار جنة، ويسمون الكفر إيماناً.

إن إدراك هذه الحقيقة يوجب على المسلم المضاعفة من تحصينه الإيماني، وأن يكون على يقظة دائمة من محاولات اختراق الصف الإسلامي عبر "المكر الناعم" الذي يسبق فتنة الدجال الكبرى. فكما أنهم سيمكرون بأتباعهم في أصبهان، فإن لهم مكرًا في كل زمان ومكان، يحاولون به النيل من عقيدة المسلمين وثوابتهم، مستخدمين في ذلك أدوات متنوعة من تزييف للوعي، والتحكم في الثروات، وبث الشبهات. قال تعالى محذراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118]. فالبغضاء والمكر يكمنان في الصدور، ويوم الدجال هو يوم انكشاف هذا المكر وظهوره على حقيقته، ولكن لا ينفع الذين أسروا أنفسهم بالخدعة ندم ولا اعتذار.



الطبوغرافيا التاريخية لأصبهان وتحولات الأحياء اليهودية

إن دراسة جغرافية مدينة أصبهان القديمة تكشف لنا عن مدينة لم تكن مجرد تجمع سكاني، بل كانت عبارة عن "مدينتين" ملتحمتين لكل منهما هويتها الخاصة؛ الأولى هي "جي" (أو المدينة القديمة)، والثانية هي "اليهودية". وتذكر المصادر التاريخية، وعلى رأسها كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (مادة أصبهان)، أن "اليهودية" سُميت بهذا الاسم لأنها بنيت في المكان الذي نزل فيه يهود السبي البابلي، حيث وجدوا أن تربتها وهوائها يشبهان تربة وهوائية بيت المقدس، فاستوطنوها وبنوا فيها حي "جوباره". هذا التفصيل الجغرافي ليس مجرد معلومة أثرية، بل هو مفتاح لفهم لماذا ارتبط اسم المدينة بهؤلاء الأتباع في أحاديث الفتن؛ فالمكان يمتلك "ذاكرة استيطان" تمتد لأكثر من ألفين وخمسمائة عام.

حي "جوباره" (Jouybareh) هو النواة التاريخية الأقدم، ويتميز بأزقته الملتوية التي صُممت بطريقة دفاعية، حيث لا تزال بعض بيوته تحتفظ بالسرايب الأرضية التي كانت تُستخدم للاختباء أو لتخزين البضائع الثمينة. في هذا الحي، كانت تتركز "الطيالسة" والرموز الدينية، وكانت الكُنى تُبنى بشكل منخفض عن سطح الأرض لحمايتها، ومن أشهرها كنيس "آمو شعيا" الذي يعتقد سكان المدينة أنه بُني على أنقاض هيكل أقدم. هذا الحي يمثل العمق الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله "من يهود أصبهان"، حيث كانت هذه المنطقة في أوج ازدهارها تضم عشرات الآلاف من السكان، وهو ما يجعل رقم "سبعون ألفاً" رقمًا منطقيًا في سياق الامتداد التاريخي لهذه المنطقة. والقرآن الكريم يذكرنا بأن القرى والمدن لها آجال وتحولات، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 59].

أما حي "دردشت"، فقد كان يمثل التوسع العمراني للمدينة، حيث اختلط فيه السكان المسلمون واليهود في حقبة لاحقة، وشهد بناء المدارس والمساجد بجانب الكُنى. هذا التمازج الجغرافي



يفسر كيف أن الفتنة حين تظهر، فإنها تخرق النسيج الاجتماعي وتفرق بين المرء وأخيه. وقد حذر النبي ﷺ من أن الفتنة ستدخل كل بيت، حيث قال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا» (رواه أبو داود في سننه، رقم الحديث 4259، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود). وفي حي "دردشت"، كانت تظهر "الطيالسة" كعلامة تميز الطبقة المتعلمة أو الثرية، مما يعيدنا إلى دلالة الزي في حديث الدجال كرمز للخداع والتمويه بالوقار.

ثم يأتي حي "جولبهار"، والذي كان يُعرف بجذائقه وبساتينه التي تحيط بالمنطقة اليهودية. هذا التوزيع المكاني يظهر أن "أصبهان" كانت تمتلك قدرة استيعابية هائلة، وأن وصف النبي ﷺ لأتباع الدجال بكونهم من هذه المدينة ينسجم مع واقعها كحاضرة كبرى في المشرق. والعلماء حين شرحوا قوله ﷺ "عليهم الطيالسة"، أشاروا إلى أن هؤلاء السبعين ألفاً سيكونون في حالة من التنظيم والاصطفاف، مما يوحي بأنهم قوة منظمة وليست مجرد غوغاء. وقد وصف القرآن الكريم اصطفاف أهل الضلال في مواجهة الحق بكونهم يسعون جاهدين لإطفاء نور الله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

من الناحية الديموغرافية، تعرضت أصبهان لهزات كبرى؛ ففي العهد الصفوي (القرن السادس عشر والسابع عشر)، تحولت المدينة إلى عاصمة إمبراطورية، وتم بناء "ميدان نقش جهان" الشهير بعيداً عن أحياء جوباره ودردشت القديمة. هذا التحول العمراني أدى إلى تراجع مركزية الحي اليهودي القديم، لكنه لم يلغ وجوده. والرحالة الذين زاروا المدينة في تلك الفترة، مثل الرحالة الفرنسي "جان شاردان" في القرن السابع عشر، وصفوا كيف أن اليهود كانوا يرتدون ملابس



خاصة تميزهم، وهو ما يتشابه مع ذكر "الطيالسة" في الحديث النبوي، حيث أن التميز بالزي كان سمة ملازمة لهذه الجالية عبر القرون.

إن الربط بين "سبعين ألفاً" وبين "الطيالسة" في "أصبهان" يشير أيضاً إلى نوع من "العصبية" الجغرافية والدينية التي قد تتشكل في آخر الزمان. فالجغرافيا ليست مجرد أرض، بل هي ثقافة وانتماء. وعندما يخرج الدجال، فإنه يستغل هذه الانتماءات القديمة ليجمع حوله الأتباع. وقد حذر النبي ﷺ من اتباع الدجال حتى لو ظن المرء في نفسه قوة، فقال ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالْذَّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» (رواه أبو داود في سننه، رقم الحديث 4319، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، وسنده صحيح). هذا التحذير النبوي يوضح أن "الطيالسة" والشبهات ستكون هي السلاح الذي يستخدمه الدجال في أصبهان وغيرها لاجتذاب السبعين ألفاً.

في العصر الحديث، وبعد أن تضاعف عدد اليهود في أصفهان ظاهراً إلى نحو 1,500 شخص، تبرز قيمة الحديث كمعجزة إخبارية غيبية؛ فكيف أخبر النبي ﷺ عن هذا العدد والمكان في زمن لم تكن فيه أصبهان قد فتحت بعد؟ إن هذا الإخبار يرسخ الإيمان بصدق نبوته ﷺ. أما الحال اليوم، فإن الكُنُس في جوباره مثل كنيس "ملا يعقوب" و"ملا نيسان" تقف كشواهد تاريخية صامته، يزورها السياح والباحثون، بينما ينتظر المؤمنون تحقق الوعد النبوي في آخر الزمان بيقين لا يزعه واقع مؤقت. والقرآن الكريم يخبرنا أن وعد الله آتٍ لا محالة، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51].

إن جغرافية أصبهان وأحياءها (جوباره، دردشت، جولبهار) ليست مجرد أسماء، بل هي مسرح لحدث كوني عظيم أخبرت به السنة المطهرة. وفهمنا لهذا المسرح يساعدنا على استيعاب أبعاد الفتنة؛ فهي فتنة تجمع بين التاريخ العريق، والزي المميز (الطيالسة)، والعدد الغفير (سبعون ألفاً)،



في مكان هو مهد الاستيطان القديم. والمسلم الحذر هو من يقرأ هذه التحولات بعين الموحد، مستعيذاً بالله من الفتن، وملتزمًا بالعدل والقسط مع كافة الخلق، كما أمره ربه في قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

موازين البصيرة والتحصين الإيماني ضد فتنة الدجال

إن الحديث عن خروج الدجال من "أصبهان" متبوعًا بهذا الجمع الغفير، يضع المؤمن أمام تساؤل جوهري حول طبيعة "العمى" الذي يصيب القلوب في ذلك الزمان، وكيف يمكن للبصيرة الإيمانية أن تخرق حجب "الطيالسة" والزينة الخداعة. لقد وصف النبي ﷺ الدجال وصفًا دقيقًا لا يدع مجالًا للشك، فبيّن أنه أعور العين، وأن الله عز وجل ليس بأعور، وهذه لفظة عقدية عظيمة تنبهنا إلى أن فتنة الدجال هي في جوهرها محاولة لتشويه مفهوم "الألوهية". وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إِنِّي لَأُنذِرُكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنذِرُهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 3337، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2931، كتاب الفتن).

إن هؤلاء "السبعين ألفًا" الذين يسرون خلف الدجال في أصبهان، يمثلون نموذجًا لمن غلبت عليهم المادة واغتروا بالمظاهر؛ فالدجال يأتي ومعه جنة ونار، ومعه كنوز الأرض تتبعه كيعاسيب النحل، كما جاء في روايات الأحاديث، وهذا يفسر لماذا يتبعه أهل الدنيا وأصحاب "الطيالسة" الذين يمثلون الرفاهية والجاه. والقرآن الكريم قد حذرنا من الاغترار بمتاع الدنيا الزائل إذا كان ثمنه التفريط في الدين، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ



عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿[آل عمران: 14]﴾. ففتنة أصبهان هي في الحقيقة فتنة "الاختيار" بين بريق المادة ونور اليقين.

ولكي ينجو المؤمن من هذا الزلزال العظيم، أرشدنا النبي ﷺ إلى "درع الكهف"؛ فالاعتصام بالآيات العشر الأولى من سورة الكهف ليس مجرد طقس تعبدي، بل هو منهج فكري وعقدي. فسورة الكهف تبدأ بحمد الله على إنزال الكتاب، وتنتهي بالتوحيد الخالص، وبينهما قصص الفتن الأربع: فتنة الدين (أصحاب الكهف)، وفتنة المال (صاحب الجنتين)، وفتنة العلم (موسى والخضر)، وفتنة السلطان (ذو القرنين). وهذه هي الأدوات التي سيستخدمها الدجال وأتباعه من يهود أصبهان؛ سيفتنون الناس في دينهم بآيات شيطانية، وفي أموالهم بكنوز تتبعه، وفي علمهم بخوارق مبهرة، وفي سلطاتهم بسيطرة جغرافية. والقرآن يقرر أن النجاة تكون في "الكهف الإيماني" بعيداً عن ضجيج الباطل، قال تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: 16].

بالعودة إلى واقعنا، فإن التحصين يبدأ بكلمة "كافر" المكتوبة بين عيني الدجال، والتي يقرأها كل مؤمن، كاتباً كان أو غير كاتب. وهذا يدل على أن القراءة في ذلك الوقت لن تكون قراءة "حروف" بل قراءة "قلوب"؛ فمن امتلأ قلبه بنور الله رأى حقيقة الدجال خلف ثيابه الفاخرة وطياسته المزركشة. وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرَ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَفَرٌ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 7131، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2933، كتاب الفتن). وهذا يؤكد أن المعرفة والوعي هما السلاح الأقوى في مواجهة التزييف الذي قد ينطلق من مراكز الثقل التاريخي كأصبهان.



إن من أسرار تخصيص "أصبهان" بالذكر، بجانب كونها مركز استيطان تاريخي، أنها كانت عبر العصور مجمعاً للعلوم العقلية والفلسفية، والفتنة العظمى هي فتنة "عقل" يضل عن الصراط المستقيم. فالعلماء الذين لبسوا الطيالة في أصبهان قديماً كانوا يبحثون في حقائق الوجود، والدجال سيأتي ليقدم "وجوداً مزيفاً". ومن هنا، فإن الحذر من الدجال يستوجب الحذر من كل فكر يقصد المادة ويغفل عن الخالق. والقرآن الكريم يذم الذين ينظرون إلى القشور ويغفلون عن اللباب، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 7].

تاريخياً، قيل إن يهود أصبهان كانوا ينتظرون "ملكاً" يعيد لهم مجدهم السالف، وهذا "الانتظار" هو الذي قد يفسر سرعة اتباعهم للدجال حين يظهر؛ فهم سيبحثون عن القوة والسيطرة، وسيرون في الدجال وسيلة لتحقيق ذلك. ولكن النبي ﷺ كشف هذا الزيف مبكراً، ليعلم المسلم أن الحق لا يُعرف بالقوة، بل يُعرف بالوحي. وقد كان من منهج الصحابة والتابعين، التركيز على بناء الفرد المسلم القوي في عقيدته، ليكون صخرة تتحطم عليها أمواج الفتن، مهما بلغ مكر الماكرين وتخطيطهم. وقد جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي: لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ» (رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 1826، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة)، في إشارة إلى خطورة السلطان الذي يتبعه الدجال وأتباعه، وخطورة الانجراف وراء من يلبسون ثياب العلماء وهم في الحقيقة طيالة الضلال، يدبرون المكر للإسلام وأهله. وإن أعظم ما يواجه به هذا المكر هو الالتفاف حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتحلي بخلق النبي ﷺ في التسديد والمقاومة بالحق.



الخلاصة الجامعة ومنهج التعامل مع فتن آخر الزمان

إن الرحلة التي خضناها عبر أزقة أصبهان التاريخية، وفي رحاب الآيات القرآنية، وبين سطور الأحاديث النبوية، تنتهي بنا إلى حقيقة كبرى: أن التاريخ شاهد صدق على نبوءات المصطفى ﷺ. لقد رأينا كيف أن "أصبهان" بتركيبها الجغرافية المتميزة بين "جي" و"اليهودية"، وبأحيائها العريقة كـ "جوباره" و"دردشت"، كانت وما زالت بقعة ذات رمزية استثنائية. والحديث عن "سبعين ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالة" ليس مجرد رقم إحصائي، بل هو "نبوءة استراتيجية" تخبر عن تجمع مستقبلي لقوى الضلال في مركز حضاري قديم. والقرآن الكريم يضع لنا القاعدة الذهبية في التعامل مع أنباء الغيب، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

ومن الدروس العملية التي يجب أن يستصحبها المسلم المعاصر، أن "الطيالة" التي ذكرها الحديث ترمز إلى الخديعة بالمظاهر؛ فالدجال لن يأتي بصورة شيطان رجيم ينفر الناس منه، بل سيأتي في صورة "مصلح" أو "قائد" أو "منقذ"، يلتف حوله أهل الجاه والزينة. وهذا يستوجب بناء "المناعة الإيمانية" من خلال العلم الشرعي الرصين والعمل الصالح الخفي. فالبصيرة التي تقرأ كلمة "كافر" بين عيني الدجال لا تُكتسب بدكاء العقل، بل بنور التقوى. وقد جاء في الحديث الشريف الذي يصور حال المؤمنين في تلك الفتنة قوله ﷺ: «يَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 1882، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2938، كتاب الفتن). فهذا الرجل لم تخدعه "الطيالة" ولا "السبعون ألفاً" لأنه كان مستمسكاً بالوحي.



تاريخيًا، رأينا أن أصبهان كانت مركزًا للعلم، واليوم تضاعف عدد اليهود فيها بشكل كبير، وهو ما يجعلنا ندرك أن "أشراط الساعة" لا تخضع للحسابات البشرية القريبة، بل للمشئة الإلهية التي تسوق الأقدار. فالمكان (أصبهان) باقٍ، والخبر (السبعون ألفًا) آتٍ، والتحصين (القرآن والسنة) متاح. والواجب هو الانشغال بالعمل الذي يقى الفتن، لا بالبحث عن مواقيت وقوعها. وقد سئل النبي ﷺ عن الساعة فقال: «مَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» (رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 3688، كتاب الرقاق، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، ورواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2639، كتاب الإيمان). وهذا هو السؤال الذي يجب أن يوجهه كل مسلم لنفسه حين يقرأ عن فتنة أصبهان ويهودها.

إن الربط بين حديث "يهود أصبهان" وبين الآيات التي تأمر بالثبات والاعتصام بالجماعة، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، يوضح أن النجاة الفردية مرتبطة بالنجاة الجماعية للأمة من خلال الحفاظ على هويتها وعقيدتها. فالفتنة التي ستنتقل من المشرق وتجوب الأرض، لن يصدها إلا قلوب قوية، لا تفتنها "طبالسة" الزينة ولا "كنوز" الأرض. والقرآن الكريم يختصر مشهد الصراع النهائي في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

ختامًا، إن هذا البحث المطول في "يهود أصبهان" يوصلنا إلى أن المدينة بعمرانها القديم في "جوباره" و"دردشت" و"جولبهار" هي جزء من الذاكرة النبوية والواقع التاريخي. والمسلم الحصيف هو من يقرأ التاريخ ليعتبر، ويقرأ الحديث ليؤمن ويحذر، ويقرأ الواقع ليدرك ويعي. إن فتنة الدجال هي الاختبار الصعب للبشرية، وأصبهان هي أحد فصوله الكبرى. فاللهم ثبت قلوبنا على دينك، وأعزنا من مضلات الفتن، واجعلنا ممن يرى الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرى الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.



المصادر

أولاً: المصادر الحديثية الأساسية:

- (1) صحيح البخاري - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)
 - الحديث رقم 110، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ
 - الحديث رقم 1881، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة
 - الحديث رقم 3337، كتاب أحاديث الأنبياء
 - الحديث رقم 7131، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال
- (2) صحيح مسلم - للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)
 - الحديث رقم 2944، كتاب الفتن وأشرار الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال
 - حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»
- (3) مسند الإمام أحمد - للإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)
 - روايات متعددة عن أنس بن مالك في ذكر الدجال وأتباعه من يهود أصبهان
 - حديث أبي بكر الصديق في خروج الدجال من خراسان

ثانياً: شروح الحديث وكتب العقيدة:

- (4) فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)
 - شرح حديث 7128، وبيان دلالة العدد "سبعين" في اللغة العربية
- (5) شرح صحيح مسلم - للإمام يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)



- شرح الحديث 2944، وبيان معاني "أصبهان" و"الطيالسة"
- (6) إكمال المعلم بفوائد مسلم - للقاضي عياض اليحصبي (ت 544هـ)
- شرح دلالات الحديث وبيان الروايات المختلفة
- (7) البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)
- كتاب الفتن والملاحم، ذكر أحاديث الدجال
- تحليل خروج الدجال من أصبهان وعلاقته بخراسان
- (8) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - للملا علي القاري (ت 1014هـ)
- شرح دلالات الحديث وبيان موقع أصبهان
- (9) فيض القدير شرح الجامع الصغير - للإمام المناوي (ت 1031هـ)
- جمع الأقوال في مكان خروج الدجال
- ثالثاً: المصادر التاريخية والجغرافية القديمة:**
- (10) معجم البلدان - لياقوت الحموي (ت 626هـ)
- مادة "أصبهان"، وصف المدينة وأحيائها، وذكر "اليهودية" كإحدى المدينتين
- (11) معجم ما استعجم - لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت 487هـ)
- ذكر تسمية أصبهان ودلالاتها اللغوية
- (12) الروض المعطار في خبر الأقطار - لابن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ)
- وصف أصبهان بأنها مدينتان: "اليهودية" و"شهرستان"
- (13) الأخبار الطوال - لأبي حنيفة الدينوري (ت 282هـ)



- تاريخ الوجود اليهودي في فارس

(14) تجارب الأمم - لأبي علي مسكويه (ت 421هـ)

- ذكر فتح أصفهان وتاريخها

(15) الأعلام النفيسة - لابن رسته (ت 300هـ)

- وصف بناء أصفهان وتقسيماتها

(16) صورة الأرض - لابن حوقل (ت 367هـ)

- وصف النشاط التجاري في "اليهودية"

(17) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - للمقدسي (ت 380هـ)

- وصف أصفهان وأحيائها

(18) الآثار الباقية عن القرون الخالية - لأبي الريحان البيروني (ت 440هـ)

- ذكر تاريخ اليهود في بلاد فارس

رابعاً: المصادر الحديثة في تاريخ اليهود في إيران

(19) تاريخ يهود إيران - للدكتور حبيب ليفي

- كتاب باللغة الفارسية، يوثق تاريخ اليهود في إيران منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث

- ترجم إلى الإنجليزية بعنوان "The Jews of Iran"

- يتضمن إحصائيات عن الجالية اليهودية في أصفهان عبر العصور

(20) موسوعة اليهود واليهودية في إيران - لديفيد يروشالمي

- دراسات أكاديمية حول الأحياء اليهودية في أصفهان



(21) دراسات مكتبة الكونغرس - مكتبة الكونغرس الأمريكي

- تقارير عن اليهود في إيران المعاصرة

(22) مذكرات حبيب ليفي - ترجمة عبرية

- سيرة ذاتية توثق تاريخ اليهود في إيران في القرنين التاسع عشر والعشرين

خامساً: كتب الأحكام الشرعية والموازين الفقهية

(23) الأحكام السلطانية - للماوردي (ت 450هـ)

- أحكام أهل الذمة والمواثيق

(24) الأحكام السلطانية - لأبي يعلى الفراء (ت 458هـ)

- حقوق الأقليات في الدولة الإسلامية

(25) لسان العرب - لابن منظور (ت 711هـ)

- مادة "طلس"، شرح معنى الطيلسان

سادساً: رحلات ومذكرات

(30) رحلة بنيامين التطيلي - لبنيامين بن يونة التطيلي (القرن 12م)

- وصف الجالية اليهودية في أصفهان في العصور الوسطى

(31) رحلة جان شاردان - للرحالة الفرنسي جان شاردان (القرن 17م)

- وصف حياة اليهود في أصفهان في العهد الصفوي

كتبه: حسام كمال النجار

البريد الإلكتروني: eldaee_belhosna@hotmail.com

